...«هَنيئاً لَكَ أبَا عَمْرو»...

ما إن انقضىٰ شأن بني قريظة حتىٰ حدث هذا الحادث:

عن عائشة رضي الله عنها: أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليّ أن أجاهد فيكَ من قومٍ كذّبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإني أظنُّ أنكَ قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريشٍ شيءٌ فأبقني له حتىٰ أُجاهدهم فيك فافجرها ـ أي: جرحه ـ واجعل موتي فيها! فانفجرت من لَبَّته[1] فلم يرُعهم، وفي المسجد خيمةٌ من بني غفارٍ إلاّ الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعدٌ يسيل جرحه دماً[2].

ولما بلغ ذلك النبي ﷺ، أتاه فأخذ رأسه فوضعه في حجره، وسُجّي بثوبٍ أبيض إذا مُدّ علىٰ وجهه خرجت رجلاه، وكان رجلاً أبيض جسيماً.

فقال الرسول ﷺ: «اللهم إن سعداً قد جاهد في سبيلك وصدّق رسولك وقضىٰ الذي عليه، فتقبّل روحه بخير ما تقبّلْت به روحاً».

فلما سمع سعدٌ كلام رسول الله ﷺ فتح عينيه، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، أما إني أشهد أنك رسول الله[3].

ولمعرفة مكانة سعد رضي الله عنه، فقد روىٰ جابر رضي الله عنه قال:

---

(١) اللبّة: موضع الذبح.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ١٤٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢/ ٤٢٧.

سمعت النبيّ ﷺ يقول: «اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ»[1].

وفي ذلك يقول رجلٌ من الأنصار:

وما اهتزّ عرشُ الله من موت هالكٍ سمعنا به إلاّ لسعد أبي عمرو

وأخبر الرسول ﷺ أصحابه أن الملائكة حضرت جنازة سعد، وشاركت في حملها وتشييعها[2].

فهنيئاً لك يا سعد هذه المكانة المرموقة، حيث شهد لك المصطفىٰ ﷺ، ومعه الملائكة. وعن البراء رضي الله عنه قال: أُهديت للنبي ﷺ حُلّة حرير، فجعل أصحابه يمسّونها ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه، لمناديل سعد بن معاذٍ خير منها ـ أو ألين ـ»[3].

هكذا تكون الأخلاق الحميدة من القائد مع جنوده ﷺ:

يا من له الأخلاق ما تهوىٰ العلا منها وما يتعشّقُ الكبراءُ
لو لم تُقم ديناً، لقامت وحدها ديناً تُضيء بنوره الآناءُ
زانتكَ في الخلق العظيم شمائلٌ يُغرىٰ بهنّ ويولع الكرماءُ

* * *

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٤٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٤٢٨.
(٣) صحيح البخاري: ٣/ ٢١٤.